الفصل الثامن عشر

الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفييتي

لم تأل الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفييتي جهداً في سبيل استخدام المدارس والكليات لتشكيل المجتمع . مجتمعان مختلفان ، ولكن معاهد التعليم فيهما لها دور واضح التأثير . فإلى العالم الجديد ، على الجانب الغربي من المحيط الأطلسي هاجرت مجموعات مختلفة من جنسيات عديدة . وإلى أمريكا على الجانب الشرقي من المحيط الهادي نزحت أعداد غفيرة عابرة هذه الشقة المائية الهائلة من آسيا . تنوع واضح تحت ظلال علم واحد ونظام سياسي واحد فكان لابد من مجهود جبار تبذله التربية في محاولات لإزالة المتناقضات التي حملها المهاجرون ، ومازالوا يحملونها في هجرتهم إلى اليوم . وقد نجحت المدارس الأمريكية في هذا المضمار .

وفي اتحاد الجمهوريات السوفييتية كانت الحاجة ملحة لثورة تربوية مباشرة في أعقاب الثورة البلشفية . فلسفة جديدة ، بل تختلف جذرياً عن فلسفة المجتمع الروسي قبيل ١٩١٧ . كان لابد للماركسية اللينينية أن تتأكد ، وبسرعة ، بل كان لابد للأجيال الصاعدة أن تتشرب هذه الفلسفة وتعيشها حتى تصبح جزءاً من نسيج تكوينها ، وقد نجحت التربية الروسية في هذا المضمار .

وتتميز دور المدارس في كلا المجتمعين - أيضاً - بالتأثير المباشر كوسيلة للنمو الاقتصادي . لم يكن معقولا أن يكون نمو اقتصادي دون العضد الركيز من التربية بمدارسها ومعاهدها ومؤسساتها . لم يكن معقولا ولا مقبولا أن يفكر المسئولون في تنمية اقتصادية دون أن تكون التربية بنداً رئيسياً في تفكيرهم ، لهذا تضاءلت الفجوة بين المداخن والسبورات ، بين أفران الحديد والصلب وقاعات المدارس لقد سقطت دول نامية في هاوية الخطأ عندما فكرت في نمو وازدهار إقتصادي ، ثم أقبلت عليه دون أن تعد له القوى البشرية اللازمة ، فاهتزت المداخن ، وخرج الإنتاج بنوعية هزيلة ...

بين التربية الروسية والأمريكية أوجه تشابه ، وبينهما أوجه اختلافات

واضحة وهذا ما سأتعرض له فى الصفحات القادمة . ولكن كبداية قد يحق لنا القول بأن كلا النظامين تعرض لضغوط واحدة :

١ — ضغط الأعداد المتزايدة من المتعلمين .

٢ — ضغط المعرفة وتفجرها وتنوعها .

٣ — ضغط القوى التى قاومت التغير .

ومع كل هذه الضغوط استطاعت التربية فى الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفييتى أن تشق طريقها بنجاح ، وتحقق الكثير من أهدافها .

الاتحاد السوفييتى :

لم تجد ثورة ١٩١٧ نفسها أمام خراب وإملاق ، فقد كانت روسيا دولة أوروبية لها موارد اقتصادية (وخاصة الفحم والبترول) غنية . حقاً لم تكن موسكو ولا سانت بطرسبرج فى غنى لندن أو برلين أو باريس ، لكنهما كانا أحسن حالا من مدريد وبرشلونة وروما ، كانت هناك صناعات ضخمة ، فقد تدفقت رءوس أموال طائلة فى روسيا مرسية دعائم نمو اقتصادى . ليس من شك أن النمو الاقتصادى منذ ثورة ١٩١٧ كان موجها ومرسوماً ولكنه استفاد من المجهودات السابقة .

على أن ثورة ١٩١٧ — ورثت فيما ورثته — أمية بالغة وخاصة فى الأجزاء الآسيوية من الاتحاد السوفييتى ، وفى المناطق الريفية عامة ، أما المدارس — بصفة عامة — فكانت متخلفة فى مناهجها وطرائق التدريس ، تخلفاً يجعلها أقل من المستوى عن الأقطار الأوروبية ، بل أن الفجوة واسعة بينها وبين المدارس الإنجليزية ، وإن كانت تضيق قليلا بينها وبين مدارس جنوب أوربا .

وكانت للأرستوقراطية والطبقة المتوسطة العليا مدارس ثانوية ذات طابع أكاديمى يؤدى بالخريجين إلى الجامعات التى تخرج الموظفين للإدارات الحكومية وقد سارت المدارس الثانوية والجامعات على المنهج الألمانى ، فى حين أن الفرنسية كانت لغة الأرستوقراطية . على أن ثورة ١٩١٧ أتت بنوعين من

الإصلاحات غيراصوة وجه التربية تغييراً عميقاً . كان الإصلاح الأول موجهاً ضد الأمية السائدة . وكان مذهلا ما حدث فى الاتحاد السوفييتى ، فى مدة زمنية امتدت ثلاثين عاماً زالت الأمية عند الشباب وغير الطاعنين فى السن ، كما أصبح هناك تعليم ابتدائى عام . تم هذا فى الوقت الذى خاضت فيه روسيا حرباً عالمية طاحنة ، ؤكما فقدت حوالى عشرين مليوناً من أبنائها ، إلى جانب ما حاق بها من دمار وتخريب . ويعزى جانب كبير من هذا الإنجاز المذهل إلى حماس الحزب الاشتراكى وجديته فى إطفاء نيران الأمية والجهل : لقد عبئت الجهود الصادقة ، وفتحت المدارس والمراكز فى المزارع والمصانع ، ومدارس عملت بالنهار وبالليل فى إيمان وتصميم لتعليم المواطنين والمواطنات ، ويذكر أنه كانت تمنح فى القرى أمكنة للسيدات اللواتى يستطعن تعليم المواطنات ، كما كانت النظرة إلى غير المتعلم تضعه فى مواقف حرجة .

وقد اهتمت الإدارة المركزية باعداد المعلمين ، كسلاح ماض لتحقيق هدفها فى محو الأمية ،فأنشئت مراكز تدريب المعلمين حيثما سمحت الظروف. والتحق بها من كانوا على قدر من التعليم ليعدوا مدرسين . أما الاهتمام بتحسين الجامعات والمعاهد العليا فقد جاء فيما بعد ، بعد أن اتسعت وامتدت القاعدة العريضة فى إعداد المعلمين . وقد نال المعلمون منذ بداية الثورة مكانة مرموقة وكان هذا الاهتمام الضخم بالمعلم هو الاصلاح الثانى .

ولننتقل الآن إلى فلسفة التربية فى الاتحاد السوفييتى ؛ ونحن هنا نقف وجهاً لوجه أمام الماركسية . ويذكر أنه عندما أصبحت السيدةKrupskaya (زوجة لينين) المسيطرة على التربية السوفيتية نشرت آراءها . التى نظر إليها على أنها آراء تقدمية . ومن الغريب أن تسود آراء جون ديوى الأمريكى التربية الروسية ، فقد عمت التربية التقدمية المدارس بما فيها من مركزية حول الطفل ، وخضوع لميوله واهتماماته ، وفرص عديدة للنشاط الفردى ، والتساهل فى التقيد بمناهج محددة موضوعة . وقد ألغيت هذه الديويات فيما بعد ، ولكن مازالت آثار منها تترك بصماتها على التربية السوفيتية اليوم . فمثلا هناك إعتراف

بأهمية الطفل فى المجتمع السوفييتى ، ويهتم المجتمع بمعاملة الأطفال كأفراد لهم حقوق يجب احترامها . هذا موجود الآن ، ومن المحتمل أن السيدة كروبسكايا فى آرائها استندت إلى التقاليد الروسية فى حب الأطفال . وهذا واضح اليوم فى اهتمام روسيا بدور الحضانة وبالتطبيع الاجتماعى المبكر للأطفال .

هذا وقد دعت الظروف الاقتصادية — فى وقت ما — المسئولين فى الاتحاد السوفييتى إلى إبقاء الأطفال بالمدرسة ساعات طويلة مع منحهم وجبات غذائية فقد كانت أزمة مساكن ، وقلة من الغذاء ، فكان خيراً أن يبقى الأطفال فى المدرسة إلى المساء .

وكان اهتمام السوفييت بالأطفال يعادله اهتمامهم بالمرأة التى تبوأت مكانة مرموقة فى المجتمع . ومن المعروف أن المجتمع السوفييتى أعطى المرأة أعلى مكانة ، فهناك طبيبات ومدرسات ومهندسات بأعداد لم يستطع أى مجتمع غربى فى أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية الوصول إليها . ولعل الفضل فى هذا التقدم النسائى يرجع إلى تشجيع السيدات على التعلم والتسهيل عليهن بفتح دور حضانة تتقبل الأطفال فى أية ساعات من اليوم .

وقد قتلت آراء ديوى فى عهد ستالين . بل يقال أنه أمر بالغاء التعليم المشترك . وأن يفصل البنون فى مدارس خاصة بهم . وللبنات مدارسهن . ولكن عاد التعليم المشترك مرة أخرى بعد انقضاء العهد الستالينى . وظل اهتمامه بالنظام وسلطة الإدارة المدرسية ، والتحصيل الدراسى سائداً ، ولكن صار تحول عن المدرسة المتمركزة حول الطفل . ولعل هذا أحد الفروق الأساسية اليوم بين التربيتين الروسية والأمريكية . ويرى الملاحظون والدارسون للتربية السوفييتية أنها تتميز بالتركيز على مناهج موحدة لجميع التلاميذ ، ومدارس موحدة عامة . كما أن التركيز فى علم النفس السوفييتى على التعاون . ومن أساسيات علم النفس (الماركسى) أن القدرات تكتسب وليست فطرية ، وأن الفروق بين الأفراد تمثل اختلافات فى الظروف البيئية وفى الاستجابات التى يكونونها . وينتظر من التلاميذ المتفوقين فى التحصيل الدراسى أن يساعدوا

زملاءهم المتعثرين ؛ كما أن اعتقاداً يسود بأن ضآلة التحصيل الدراسي مرجعها إلى عدم الرغبة فى التعلم ... فكل الأفراد خلقوا سواسية ، ومن يقبل على التعلم أكثر يحصل أكثر ... ولا دخل هنا لما يسميه علم النفس فى الدول الغربية والرأسمالية بالذكاء الفطرى والقدرات التى يولد الفرد مزوداً بها .

ومع هذا ، فان الفروق بين الأفراد تفصح عن ذاتها فى سن معين ، ولهذا فان الاتحاد السوفييتى ألقى اهتماماً بانشاء مدارس خاصة بعد سن الخامسة عشر حيث يدرس فيها التلاميذ ليصبحوا جيش العمال المهرة . ولعل على رأس وظائف التربية فى الاتحاد السوفييتى إعداد طوائف المتخصصين للمجتمع فى شتى مجالاته وأنشطته .

وتكون الجامعات نسبة بسيطة (نسبياً) فى النظام التعليمى ، وكذلك المدارس التى تعد الطلبة لهذه الجامعات . وتهتم الجامعات باعداد الباحثين فى شتى المجالات ؛ ومستواها عال جداً ؛ ويضم التعليم العالى — إلى جانب الجامعات — المعاهد التكنولوجية المتخصصة ، وهى ذات طابع تطبيقى .

ويلمس الدارس للتربية السوفييتية أثراً ماركسياً آخر هو مزج الدراسة بالعمل . فقد اهتمت (إصلاحات) خروشوف (١٩٥٨) التعليمية بتنمية نظام يعطى فيه كل طالب — باستثناء الموهوبين — فرصة العمل بين سن ١٤ سنة وعشرين سنة حتى تذوب الفوارق بين الفئة المثقفة وغيرها . ويقال إن دافعاً لهذه الإصلاحات هو العجز فى عدد العمال بعد ملايين الضحايا فى الحرب العالمية الثانية ونقص المواليد ، وكذلك خوف الساسة من تكون طبقة طلابية قد تقوم بعمليات فيها خطورة على النظام . ومهما تكن الأسباب فان إتاحة الفرص للطلبة للعمل اليدوى فيه احترام وقدسية للعمل حتى لا تنمو إحساسات بفروق طبقية أو تطلعات ينشؤها العمل العقلى وموقفه من العمل اليدوى . وصار تعليم الشباب على أساس أن العمل واجب وشرف ...

وفى رأى بعض المربين الغربيين أن الفلسفة التربوية والنظام التربوى

الروسى هما مزيج من التقاليد القيصرية السابقة للثورة ، والتعاليم الماركسية ، وتأثرت من المجتمعات الغربية . فلم تنبذ الثورة كل قديم ، ولم تقفل الباب نهائياً أمام خبرات الغرب ، بل أخذت منها ما يتناسب مع الماركسية ولا يطيح بأساسياتها . وقام هذا المزيج المريح لينتج مجتمعاً متميزاً بالوحدة ومتشبعاً بالماركسية وقادراً على مد الصناعة والمزارع بالقوى البشرية ذات الكفاءة الممتازة ، بل وفوق كل هذا تهيئة أفراد أغنياء بولائهم لوطنهم والذود عنه ، ولعل المعجزة الكبرى للنظام التعليمى السوفييتى قدرته على استيعاب هذه الأعداد الهائلة من الأفراد وكفايته الرائعة فى توجيههم بنوعيه فائقة . فقد تضاعف عدد الأطفال منذ ثورة ١٩١٧ ، كما أن عدد تلاميذ المدارس تضاعف عدة مرات .

وتفخر التربية السوفييتية بأن نسبة عدد المدرسين إلى التلاميذ تعد أحسن نسبة فى العالم (١) كما أن موقف أولياء الأمور من المعلمين يتميز باحترام وتقدير كبيرين الأمر الذى يشكو منه معلمو الولايات المتحدة مر الشكوى . والمقارنة تتضح بصورة جلية فى اجتماعات مجالس الآباء والمعلمين فى كل من الاتحاد السوفييتى والولايات المتحدة الأمريكية . ففى الأخيرة يكاد يكون المدرس مذنباً يتلقى التأنيب من أولياء الأمور (دافعى الضرائب) وعليه إذا أراد أو أرادت أن تقدم تقريراً لوالد جونى ، وجونى تلميذ ضعيف مهمل كسول ، فهنا يبدأ المعلم بمحاولات يرمى من ورائها رضاء والد جونى ، فجونى مثلا يلبس قميصاً يتلاءم لونه مع بنطلونه ، أو أنه صاحب ابتسامة لطيفة ، ثم يلمح المعلم أن جونى ضعيف فى تحصيله . وإذا كان الحاضر من طرف جونى والدته ، فقد لا تنتهى ليلة المدرس أو المدرسة إلا بأنه هو الضعيف فى مادته غير القادر على التدريس(٢). الصورة مختلفة تماماً فى الاتحاد السوفييتى حيث يتم فى اجتماعات الآباء والمعلمين أن المعلم يؤنب ولى الأمر الذى لم يحسن

---

(١) ولا تقترب من هذه النسبة إلا اليابان .

(٢) هذه الصورة الكاريكاتورية قد يكون فيها شىء من المبالغة .

العنابة بابنه وقصر ، بل إن التأنيب والتقريع يخرج إلى دائرة المجتمع الضيقة أولا حيث تنهال طلقات التأنيب على ولى الأمر من كل اتجاه ...

على أن ما يتوج التربية الروسبة هو هذا التنظيم الدقيق لمركزية تنبع من لحزب الشيوعى ، مركزية تسيطر على المناهج والكتب المقررة وأنظمة لامتحانات . ولكن إلى جانب هذه المركزية هناك المبادآت المحلية والمجهودات التى تنقلها الإدارة المركزية بكل تقدير . شىء رائع ومثير هذا الجمع بين مركزية ولامركزية ، دول غرب أوروبا تتبع سياسة مركزية ، والمحلية والإقليمية اللامركزية سمة أمريكية ، ولكن الاتحاد السوفييتى هو الفريد الذى جمع بين الاثنتين فى نسيج مبدع محكم .

هذا ، وتظهر الفروق بين التربية الاشتراكية والتربية فى المجتمعات الغربية الرأسمالية فى طبيعة الإنسان فى المجتمع . ولعل ما وضحه Neilo'Connor(١) عن هذه الفروق جدير بالاقتباس هنا وقال :

« يتجه علم النفس التعليمى السوفييتى إلى تعميق فعاليات التربية ، ومن الإنصاف القول بأن هذا هو هدف علم النفس التعليمى فى أى مجتمع . ولكن نجد فى إنجلترا مثلا اعتقاداً جازماً بتأثير الوراثة على الذكاء مما أنتج اهتماماً بالغاً بالفروق فى القدرات ،البداية مختلفة ولكن الهدف واحد وهو تعميق فعاليات التربية وتأثيراتها . وقد أدى الاختلاف فى البداية إلى إتاحة فرص تربوية أكثر وأعرض فى الاتحاد السوفييتى : كما أن الافتراضات المؤسسة على مفهوم أن الذكاء فطرى قد رفضت رسمياً فى روسيا ، فى حين أنها بدأت تفقد قيمتها تدريجياً فى إنجلترا عن طريق المحاولة والخطأ .

وفى كلا المجتمعين الروسى والإنجليزى إعتراف بوجود فروق بين الأفراد . ولكن هذه الفروق تلعب دوراً حيوياً فى إنجلترا ، فهى العوامل

---

(١) Neil O, Connor in Communist Education, edited by E.J. King, p. 49.

الأساسية المتحكمة فى تربية الأفراد ، أما فى روسيا فهى أسس تؤدى إلى تنوع فى البناء التعليمى . إنه الفرق بين مجتمع طبقى ومجتمع لا طبقى . ففى المجتمع الطبقى اعتراف بأن هذه الفروق الموروثة لا تتغير ... » .

الفروق الفردية موجودة ... هذا ما يراه علماء النفس فى الشرق وفى الغرب ، ولكن ما دورها ؟ يقول علماء النفس الغربيون الآتى : يعترف المجتمع السوفيتى بوجود فروق بين الأفراد لأنه يريد وجود هذه الفروق ليحقق أهدافه وأغراضه ويحقق منجزاته ، فى حين أن المجتمع الغربى يؤكد وجود هذه الفروق ويمجدها لذاتها ... » هذا ما يقوله علماء الغرب ...

الولايات المتحدة الأمريكية :

بلد حديث فى تاريخه ، ولكنه أقدم بلد فى جعل التربية حقاً لكل مواطن ، فقد سبقت دول العالم فى المدرسة الابتدائية المجانية ، تعقبها المدرسة الثانوية وأبوابها مفتوحة أمام الجميع ، ثم إلى تعليم عال . ويعتز الأمريكيون كل الاعتزاز بهذه الديموقراطية فى التربية ، وأنهم فتحوا الأبواب أمام المتفوقين لتعليم عال . وفى رأى الغربيين :

— التقدم التربوى فى الولايات المتحدة الأمريكية ليس مرده فقط إلى غزارة وغنى الموارد الطبيعية ، وإلى القوى البشرية ، وإنما لأن هناك اعتقاداً راسخاً بأهمية وأولوية التربية . وقد لعبت المدرسة دوراً هاماً فى التطور الثقافى الأمريكى .

— منذ بواكير التاريخ الأمريكى وهناك اعتقاد عميق بأن المدرسة مسئولية المجتمع ، فمجتمع ناحية ما ينشىء المدارس والكليات . ويمولونها ويشرفون على بنائها ، فهى ستعلم أبناءهم ... واستمر هذا الموقف إلى أن تدخلت الإدارات المركزية وأسهمت .

— سبقت الولايات المتحدة الأمريكية دول العالم فى إصدار قوانين ولوائح خاصة بالتربية والمدارس ، وكان ذلك منذ منتصف القرن التاسع عشر . ولعل أخطر عمل أقدمت عليه هو المدرسة الابتدائية العامة المجانية . مدرسة للجميع ؛ والتربية مسئولية الدولة . كان هذا حدثاً تاريخياً .. وبدأت التقاليد ترسى

دعائمها ، فاذا أضفت إلى هذا حماس الناس إلى التعليم واهتمامهم به ، مضافاً إلى ذلك أيضاً غنى فى الموارد وفيض من المال ، أمكننا أن نرى شكل المدرسة ومحتواها يتغير فى ثراء ويتحسن فى غنى .

— باستثناء الجنوب كانت المدارس للجميع ، حقاً كانت هناك مدارس خاصة يؤمها أبناء الأثرياء ، ولكنها — نسبياً — كانت أقل مما كان موجوداً بالقارة الأوربية(١). ولم تعرف أمريكا — إلا لماما — مدارس الفقراء ، ومدارس الأثرياء كما عهدتها أوروبا .

— منذ البداية كانت هناك مساواة فى التعليم بين الذكور والأناث ، بل إن هيئات التدريس بالمدارس الابتدائية كانت نسائية . فقد نظر إلى مهنة التدريس على أنها — فى مرحلة ابتدائى — لا تحتاج إلى قوة جسمية وعضلية . والنساء أحق بها من الرجال الذين يجب أن يعملوا فى مهام أخرى لا تقدر عليها النساء !! على أن الموقف — أخيراً — بدأ يتغير وبدأ الرجال منذ سنوات غير بعيدة ، يعملون معلمين فى المدارس الابتدائية ، وحتى اليوم تجد نسبتهم ضئيلة جداً إذا قورنت مع المدرسات ، وإن كانت المناصب الإدارية بها أعداد وفيرة من الرجال .

— كان هناك اهتمام بإعداد المعلمين ، ولعل الكثير من جامعات أمريكا اليوم بدأت كمعهد للمعلمين ثم كبر وتطور وتضخم . كانت الـNormal Sshool نواة كثير من جامعات أمريكا اليوم

ولعل القوة البارزة فى تطور التربية الأمريكية فى بداية القرن العشرين وإلى الأربعينات منه هى آراء جون ديوى التى لم يقتصر تأثيرها على الولايات المتحدة الأمريكية بل انتقلت إلى أوروبا وإلى روسيا واليابان وكثير من أقطار العالم ، جاءت آراؤه فى أمريكا فى وقت مناسب سياسياً واقتصادياً واجتماعياً .

---

(١) ولا ننسى الحال فى مصر قبل ١٩٥٢ حيث كانت هناك مدارس ابتدائية ومدارس أولية ، الأولى تودى إلى الثانوى ثم التعليم العالى ، والثانية مقفولة المستقبل .

كان من الضرورى تصميم مناهج لا تقسم الأفراد حسب مستواهم الاقتصادى أو مركزهم الاجتماعى ، أو حسب طبقتهم العقلية . كانت الحاجة ماسة إلى نظام تعليمى يوحد ولا يفرق . وكان الاختراع الأمريكى لتنفيذ هذه السياسة هو المدرسة الثانوية التى فتحت أبوابها لكل التلاميذ . كل التلاميذ ، لا الأغنياء منهم فقط ، والمتفوقين عقلياً فقط ، بل الجميع .

وصممت المناهج لتنمى اهتمامات وكفايات الفرد المتعلم ، بالإضافة إلى مد جميع المتعلمين بالدراسات الأكاديمية والعملية اللازمة لهم لحياة سعيدة فى مجتمعهم وقتئذ . على أن المدرسة الثانوية الأمريكية highschool لم تقصر خدماتها على تلاميذها وتلميذاتها ، بل فتحت أبوابها للمجتمع ، وأصبحت مركز النشاطات الاجتماعية والرياضية والفنية . وهى بهذا اختلفت عن المدرسة الثانوية فى القارة الأوروبية ... وغيرها .

ولم تسلم التربية الأمريكية من مطارق النقد ، من أمريكيين وغيرهم ، فقد اتهمت بأنها تهتم بالكم ، فى حين أن التربية فى أوروبا تهتم بالكيف . ويدافع الأمريكيون عن أنفسهم قائلين إن هناك فروقاً واختلافات فى المستويات من مدرسة لأخرى . ومن جامعة لأخرى . فهناك جامعة هارفارد . ومعهد التكنولوجيا بماساشوستس ، وجامعة شيكاغو (وخاصة فى العلوم الطبيعية والاقتصادية) وهذه لها سمة عالمية لا ينكرها أحد ، وفى الجانب الآخر نجد كليات وجامعات صغيرة ذات مستو علمى أقل من ييل وهارفارد كولومبيا مثلا . هناك مستويات مختلفة ، كما هى الحال فى كثير من أقطار العالم حيث توجد جامعات ممتازة وأخرى هزيلة .

ويفخر الأمريكيون بأنهم يتيحون فرص التعلم بدرجة أعلى مما تتيحه دول أخرى — هذا ما يقولون — ففى المدن نجد أن ٥٠٪ من خريجى المدارس الثانوية يلتحقون بالجامعات ، وهى نسبة عالية ، بل إن الفرص متاحة الآن للأطفال فى سن ما قبل المدرسة الابتدائية ، وخاصة لهؤلاء الأطفال الأمريكيين من بيئات فقيرة . وهناك اليوم برنامج سن Headstart يعد الأطفال للمدرسة الابتدائية .

وتكاد تنفرد المدرسة الأمريكية بسياستها فى ترك الطالب يتخير مواد دراسية يريدها ، وإن كان الاتجاه اليوم إلى تكليف التلاميد المتفوقين بأخذ مواد معينة . ليس هناك إذن ما يسمى بمنهج السنة التانية ثانوى يأخذه كل التلاميذ والتلميذات . هناك مواد دراسية مطلوبة أى إجبارية ، والباقى عديد يتخير منه الطالب ما يريد . ويخضع المتقدمون للجامعات إلى مجموعة امتحانات تقيس قدراتهم العقلية إلى جانب سجلهم فى المدرسة الثانوية .

وقد هوجمت التربية الأمريكية أيضاً من زاوية المعلمين ومؤهلاتهم ، وأن بعضهم لا يحملون مؤهلات تعطيهم إمكانيات التدريس . ولكن الأمريكيين يدافعون عن موقفهم قائلين إن ثلاثة أرباع المعلمين من خريجى الجامعات والكليات ، ومهما كانت شهاداتهم ذات مستوى — قد يكون منخفضاً — فهى أعلى من مستوى الشهادات التى تمنح فى القارة الأوروبية وغيرها لمن يقومون بالتعليم فى مرحلة ابتدائى . ويرد المهاجمون قائلين إن ما يدرسه المعلم قبل تخرجه فى أمريكا يهتم أكثر بالمواد المهنية (التربوية) ، وقلة فى مادة تخصصه والتى سيدرسها لتلاميذه بعد تخرجه . وبذلك يولى المدرسون الأمريكيون أهمية أكثر إلى عملية تكيف التلميذ للحضارة التى يعيش فيها ، وهذا على حساب تقدمه فى المواد الدراسية .

وقد ظلت التربية الأمريكية أسيرة الدوجما الديوية ، وأى دوجما (أفكار مثبتة) مهما كانت رائعة فهى خطيرة ، لأنها تحجب التفكير فى التغيير ، والتغيير حتمى الحدوث وإلا حل التخلف . على أن الدوجما الديوية لها صفات باقية ومستمرة فى البقاء ، منها :

١ — القول بأن على المدرسين معرفة تلاميذهم وكيف ينمون .

٢ — إعداد المتعلمين للحياة الحاضرة الراهنة فى بيئاتهم :

بل إن الفكرة الديوية ترى أن التربية حياة وليست إعداد للحياة ، كأن يحيا الطفل اليوم ، ويعرف كيف يحيا ، فهو بهذا يعد نفسه للمستقبل . بل إن الدوجما أدت إلى إهمال الموهوبين والمتفوقين ، الأمر الذى أصلحه الأمريكيون

فى العشرين سنة الماضية . كما أنهم أعادوا النظر فى مدارسهم الثانوية و طعموها والدراسات المهنية

وفى محاولة لإبراز أوجه التشابه بين التربية الأمريكية و السوفييتية نجد أن كليهما ضخم عملاق ، كليهما يهتم بالدراسات المهنية ذات المستوى العالى . ثم اهتمام بالطفل ، وتركيز على عمليات التطبيع الاجتماعى ، ودور التربية فى المجتمع . ولعل من أبرز أوجه الاختلاف بين التربيتين هذه الحرية التلقائية الموجودة فى المدارس الأمريكية ، حرية قد تصل - بل وقد وصلت - أحياناً إلى فوضى مدللة ، وخضوع المعلمين للمتعلمين ، وتحكم أولياء الأمور فى المدارس ...